مجلة دراسات في العلوم الإنسانية
١٤٣٧/٢٠١٦، ٢٢ (٢)، ٩٤-٧٣
ISSN: 1735-5052
http://aijh.modares.ac.ir

العادات والتقاليد النوبية في رواية "اللعب فوق جبال النوبة"

هاشم محمد هاشم*
حاصل علي الدكتوراه في الأدب الفارسي المقارن ـ جامعة أسيوط، جمهورية مصر العربية
E-mail: hashem.elkomey@yahoo.com
الكاتب المسؤول

مريم جلائى
أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان

تاريخ الوصول: ١٤٣٧/٠٢/١١ تاريخ القبول: ١٤٣٧/٤/١٢

الملخص

تمثل العادات والتقاليد النوبية رافداً من روافد الثقافة الشعبية المصرية، بحيث تجلت العادات والتقاليد والموروث النوبي في الأعمال الروائية للروائيين النوبيين والتي كان يغلب عليها رفض بعض الروائيين لجمود هذه العادات والتقاليد التي يغلب علي بعضها الجهل والتعصب، حيث كانت هذه العادات والتقاليد ثابتة لاتقبل التغيير إلا في حدود معينة، وتعد رواية "اللعب فوق جبال النوبة" للروائي "إدريس علي" من الروايات التي عبرت بكل وضوح عن إشكالية التقيد بالعادات والتقاليد وعدم الانفتاح علي العالم الخارجي بواسطة طرق اتصال متعددة، هذا بالإضافة لفكرة الصراع الثقافي القائم بين شمال مصر وجنوبها. وتتبني هذه الدراسة بالمنهج الوصفي - التحليلي دراسة الثابت والمتغير في العادات والتقاليد الشعبية النوبية في رواية "اللعب فوق جبال النوبة" وفقاً لنظرية الاتصال والتغيير الاجتماعي خاصة عبر الاتصال المباشر المتمثل في الاحتكاك المباشر بين الأفراد. ومن أهم ما وصل إليه البحث هو أن بطلة الرواية "غادة" باحتكاكها المباشر بأهالي النوبة استطاعت تحريك تقاليدهم الصارمة الجامدة، وذلك بامتلاكها سمات تميزها عن العناصر الوافدة إلي قرية "مالتي" وهي مسرح أحداث الرواية. ويمكننا اختصار محاولاتها للتغيير في أمرَين؛ أولهما تشجيع فتيات القرية في تغيير مظهرهن الخارجي وشكل تسريحة شعرهن، والثاني تعليمهن مبادئ الكتابة والقراءة ومن ثم طريقة تفكيرهن نحو أنماط الحياة بالقراءة.

الكلمات الرئيسة: الأدب المصري المعاصر، الرواية النوبية، إدريس علي، العادات والتقاليد النوبية، التغيير، الاتصال الاجتماعي.

١. المقدمة

تتميز العادات والتقاليد النوبية١ بخصوصيات وسمات تميزها عن غيرها من العادات والتقاليد المصرية، ولقد تأثر أهل النوبة بتراثهم الحضاري وثقافتهم التي اكتسبوها منذ القدم وانعكس ذلك علي الشخصية النوبية، بحيث أصبح متغلغلاً بداخلها، فهناك عاملان ساهما في أن يتعلق النوبي بعاداته وتقاليده ولا ينفصل عنها؛ العامل الأول هو اللغة النوبية٢ المنغلقة علي أهلها والغير متداولة إلا بين أصحابها فقط، مما حَدَّ من وجود حلقات اتصال قوية بينهم وبين غيرهم من أهل البيئات المحيطة بهم. أما العامل الثاني فهو الموقع الجغرافي وطبيعته الذي أدي دوراً في انطواء النوبي وعدم احتكاكه بالعالم المحيط به، لهذا كانت عاداته وتقاليده ثابتة لا تتغير وذلك لعدم حدوث تفاعلات مع المجتمعات المحيطة ينتجع عنها حالة من حالات التأثير والتأثر، مع الإشارة إلي أن ظرف "التهجير" أدي إلي تغيير نسبي للعادات والتقاليد النوبية، فلقد نزح البعض وترك الموقع الجغرافي بكل ما يحمله من تراث واختلط بمجتمعات أخري لها ثقافتها وعاداتها وتقاليدها تأثر بها -

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

نسبياً - مباشرة أو غير مباشرة، والبعض اختار الموطن الجديد الذي لا يبعد جغرافياً عن موطن النوبة القديمة، لكنهم ما استطاعوا في ظل الموضع الجديد الحفاظ علي كل الموروث القديم.

ونستطيع بكل سهولة أن نلتمس ذلك من خلال الأدب النوبي - إن جاز التعبير - خاصة الأدب الروائي، بحيث كانت طقوس المجتمع النوبي وممارساته الحياتية قد شكلت محوراً من محاور الرواية النوبية، كما عبرت هذه الروايات عن الأعراف الاجتماعية والدينية والفولكلورية التي تعبر بدورها عن التفاعل الثقافي والفكري الذي مرَّ به المجتمع النوبي (مبروك،٢٠٠٠ م: ص١٧) وعلاوة عن هذه العادات والتقاليد النوبية الراسخة في نفوس النوبيين، هناك فكرة الصراع القائم ما بين الشمال والجنوب، بحيث يعترف إدريس علي صراحة في روايته "اللعب فوق جبال النوبة" التي هي موضوع بحثنا بالصراع الثقافي الحتمي بين الشمال والجنوب فيقول: « ... ما الفائدة؟ تلك صفحة من الماضي انطوت ولا قيمة لها الآن، ولأن ما حدث في ذلك الزمن يمثل صورة حية لاشتباك ثقافي مروع بين الشمال والجنوب، رأيت أن أسرد عليكم قصة غادة كما عشتها ...، لأنني كنت أحد أهم أطراف المأساة». (علي، ٢٠١٠ م: ١٦) والصراع الذي يصوره إدريس علي في روايته صراع ثقافي تحتل العادات والتقاليد الجانب الأكبر منه، فأهل الشمال - القاهرة - لهم عاداتهم وتقاليدهم المتفتحة علي العكس من أهل الجنوب - النوبة - الذين يتمسكون بعادات وتقاليد جامدة ثابتة متخلفة، التي وصفها إدريس علي قائلاً: «كانت بلادنا مغلقة علي نفسها تمارس الحياة وفق تقاليد موروثة، صارمة، متخلفة، لا تتطور، ولا تتغير». (م.ن: ١٧)

فقامت الدراسة الحالية بدراسة الثابت والمتغير في العادات والتقاليد الشعبية النوبية في رواية "اللعب فوق جبال النوبة" وفقاً لنظرية الاتصال والتغيير الاجتماعي خاصة عن طريق الاتصال المباشر بين أفراد الرواية، حيث «يعتبر الاتصال المباشر هو الشكل الرئيس للاتصال بين الجماعات البشرية، هذا الشكل الذي تطورت عنه باقي أشكال الاتصال الأخرى، وتشير كل من الملاحظة والدراسة العلمية المتخصصة إلي أهمية الاتصال المباشر في التنمية البشرية وكذلك في ترسيخ عناصر الثقافة ونقلها من جيل إلي جيل». (صالح، ٢٠١٣ م: ٣٤و٣٥) ولقد كان الاتصال المباشر بين الأفراد هو المحرك الرئيس لأحداث رواية "اللعب فوق جبال النوبة"، بحيث تدور الأحداث في مجملها حول الصراع الثقافي بين الشمال والجنوب، والذي ظهر في الرواية بسبب وفود عنصر ثقافي من الشمال وهي غادة بنت القاهرة ذات الجذور النوبية والتي تحمل أفكار القاهرة وحضارة المدن إلي قرية مالتي في أقصي الجنوب يتسم مجتمعها بالانغلاق والمحافظة علي الإرث الثقافي القديم من عادات وتقاليد.

٢. نبذة عن أدب الروائي إدريس علي

تتناول أعمال إدريس علي في معظمها الحياة في النوبة، موطن الكاتب. وقد كان إدريس علي من أبرز المنددين بالأوضاع السيئة التي يعيش فيها أهل النوبة، وبضياع أراضي النوبة عقب بناء السد العالي في الستينيات والسبعينيات. ولقد نشر إدريس علي أولى قصصه سنة ١٩٦٩ م، وكان ذلك في مجلة "صباح الخير"، ثم نُشرت له ست روايات وثلاث مجموعات قصصية. لمع إدريس علي كأديب نوبي بعد نشر رواياته "دنقلة"، التي ترجمها إلى الإنجليزية "بيتر ثيروكس" ونشر الترجمة قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفازت الترجمة بجائزة "أركنساس" للترجمة العربية سنة ١٩٩٧ م.

ولقد فازت روايته "انفجار جمجمة" - التي كانت ثمرة لأول منحة تفرغ حصل عليها - بجائزة أفضل رواية مصرية من

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

معرض القاهرة الدولي للكتاب سنة ١٩٩٩ م، وجائزة الدولة التشجيعية، وتسببت روايته الأخيرة "الزعيم يحلق شعره" (٢٠١٠ م) في جدل كبير عقب منعها في معرض القاهرة الدولي للكتاب لانتقادها نظام القذافي. من أعماله الأخرى "واحد ضد الجميع" (أولى مجموعاته القصصية) و"المبعدون" و"وقائع غرق السفينة" و"اللعب فوق جبال النوبة" و"النوبي" و"دنقلة".

اشتهر إدريس علي بالمعارك التي كان يخلقها حول كتاباته، وبتصريحاته المثيرة للجدل (من بينها تصريحاته عن رغبته في السفر إلى إسرائيل) وبمحاولاته المتعددة للانتحار في أواخر حياته نتيجة الحالة النفسية السيئة التي عاناها عقب وفاة ابنه، ولقد توفي إدريس علي في ٣٠ نوفمبر٢٠١٠ م عن عمر ٧٠ عاماً. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة، إدريس علي)

٣. رواية "اللعب فوق جبال النوبة"

تدور أحداث هذه الرواية في إحدي قري النوبة والتي أطلق عليها المؤلف اسم مالتي وهي قرية بعيدة ومنعزلة عن القري المجاورة لها وعن العالم بأسره، يعيش أهلها في ظل التقاليد والعادات النوبة القديمة ويحافظ أهل القرية نساء ورجالاً علي هذه التقاليد وتجسيدها بأفضل صورة ممكنة، حتي تصل لهم فتاة تدعي غادة وهي فتاة نصف نوبية؛ فوالدها نوبي الأصل، أما أمها فأصلها من القاهرة، جاءت هذه الفتاة من القاهرة من أقصي الشمال إلي قرية مالتي في أقصي الجنوب كنوع من العقاب لها من قبل والدها، عقب رفضها الزواج من رجل نوبي وذلك بسبب حبها لشاب من شباب حارتها والذي سمي في الرواية بـ "ابن الحتة" الذي يتحول فيما بعد إلي إرهابي ويقتل، وأيضاً أرسلها للجنوب حتى تعاقب علي ما تتسم به من تمرد علي عادات وتقاليد النوبة.

وبمجرد وصول الفتاة القاهرية إلي قرية مالتي تبدأ في النفور والنقد والسخرية من العادات والتقاليد النوبية ومحاولة تغيير هذه العادات التي يصر أهل القرية علي اتباعها وتنفيذها، وكذلك تصطدم الفتاة بجدتها "شاية" وفشلها في التأقلم في المجتمع النوبي ومحاولة هربها من القرية عن طريق الجبل مع الطفل راوي الرواية٣ في قصة هروب مثيرة بالنسبة لفتاة وطفل وعودتها مرة أخري إلي القرية واستقرار أهل القرية ورجالها علي إعادتها إلي والدها في القاهرة، ولكن في الوقت المحدد تختفي غادة، ولا يعرف أين ذهبت وإن كانت أصابع الاتهام توجه إلي جدتها "شاية" وبأنها ألقتها في "خور فانة" الذي يعد نهاية لكل فتاة فاسقة فاسدة.

٤. الدراسات السابقة

وأما أدب ادريس علي كمؤسس الأدب النوبي، فلم ينل بعد ما يليق به من اهتمام في الدراسات الأدبية، وهناك بحوث قليلة لا تتجاوز أصابع اليد هنا وهناك سيتم الإشارة إليها كخلفية لبحثنا الحالي وهي: ١) «بنية السرد الروائي عند إدريس علي»، أماني جابر عبدالفتاح عبدالقوي، رسالة ماجستير، جامعة بني سويف، ٢٠٠٩ م؛ ٢) آليات السرد في الرواية النوبية، مراد عبد الرحمن، القاهرة، دار حراء للنشر والتوزيع الجامعي، ١٩٩٤ م؛ ٣) «قراءة فى رواية النوبى لإدريس علي»، يوسف الشاروني، مجلة المحيط، العدد ٨، يونيو ٢٠٠٢ م؛ ٤)كتابة النوبة وإدريس علي، جابر عصفور، جريدة الأهرام، ١٢ مايو، ٢٠٠٣ م؛ ٥)ومجلة الثقافة الجديدة للهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ٧٧، فبراير ١٩٩٥ قد خصصت هذه المجلة ملفاً خاصاً عن إدريس علي، يتكون من عدة مقالات تحاول طرح مجموعة من التحليلات النقدية لروايته "دنقلة" ومن أهم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

هذه المقالات ما يأتي: ١) دنقلة: الكابوس السياسي ومحاولة العودة إلى الجنوب، مدحت الجيار؛ ٢) إدريس علي السائر على الماء، محمد محمود عبد الرازق؛ ٣) قراءة فى رواية دنقلة لإدريس على، هجائية تحذير من خطر التطرف، حسين عيد.

كما نلاحظ في الخلفية أن رواية "اللعب فوق جبال النوبة" وهي من أشهر روايات إدريس علي، لم يقع في موضع اهتمام باحثي الأدب والنقاد. ومن أجل هذا قام البحث الراهن بسد جزء من الفراغ الموجود في هذا الجانب، بالإضافة إلي تعريف القراء بشكل عام، والإيرانيين المقبلين علي الأدب العربي المعاصر تحديداً علي الثقافة النوبية باعتبارها جزءاً من الثقافة المصرية.

٥. مفاهيم الدراسة

فيما يلي سنتحدث بشيء من التفصيل عن أكثر المفاهيم والمصطلحات استخداماً وأهمها في صلب البحث:

٥ـ ١. مفهوم العادات والتقاليد

يعد مصطلح "عادة" من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية والأثنولوجية ودراسات الحياة الشعبية، كما أن العادات تمارس وظائفها في مجالات متنوعة ومتعددة، بحيث تشمل العالم غير الإنساني وفوق الإنساني كما تشمل حياة الإنسان البيولوجية والاجتماعية علي حد سواء (الميلاد/ الموت/ الزواج/ العلاقات مع الجيران/ المجتمعات المحلية/ القرية/المدينة...) كما تشمل مجالات الزمن (كالمناسبات الخاصة بتتابع العام/ والمواسم/ وفترات الانتقال...) (الجوهري،٢٠١٢ م: ٣١٩-٣٢٤) لهذا تعددت التعريفات والمفاهيم الخاصة بالعادات (الاجتماعية/ الشعبية) لتعدد المجالات التي تندرج تحتها وكذلك لتنوع وظائفها، ويمكن رصد أهم هذه التعريفات و في مقدمتها تعريف "سنمر" الذي أورده "ايكه هولتكرانس" في "قاموس مصطلحات الأثنولوجا والفولكلور"، حيث يعرفها بأنها سلوك أو نمط سلوكي تعده الجماعة الاجتماعية صحيحاً وطيباً، وذلك بسبب مطابقته للتراث الثقافي القائم، ولو طبقنا القوة القسرية المعيارية للعادة، فإنه يمكن تسميتها بالعادات الشعبية أو السنن، ولقد أجمل أيضاً هولتكرانس في قاموسه عدداً من التعريفات الخاصة بالعادات (الاجتماعية/ الشعبية) ومن أهم هذه التعريفات تعريف "مالينوفسكي" الذي يعرفها بأنها "أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليدياً علي أفراد المجتمع المحلي"، ويعرفها أيضاً "سابير" بأنها "كلمة للدلالة علي مجموع الأنماط السلوكية التي يحملها التراث وتعيش في الجماعة، وذلك علي خلاف أوجه النشاط الشخصي للفرد التي تتصف بمزيد من العشوائية". (هولتكرانس، ١٩٩٩ م: ٢٤٧)

وتتميز العادات (الاجتماعية/ الشعبية) بمجموعة من السمات ويمكن إجمالها في أنها فعل اجتماعي يختلف عن العادة الفردية التي يقوم بها الفرد، كما أنها عادات متوارثة أي أنها ليست ظاهرة آنية بل أنها ترتكز علي تراث يدعمها ويقويها، وتمثل العادات (الاجتماعية/ الشعبية) قوة معيارية وأداة من أدوات الضبط الاجتماعي التي تحفظ للمجتمع كيانه واستمراره، ترتبط العادات (الاجتماعية/ الشعبية) بالزمن فأغلب العادات ترتبط بأوقات معينة مثل عادات شهر رمضان أو عادات الحصاد، وآخر مميزات العادات أنها تتميز بالتنوع النسبي فهي تختلف من مجتمع لآخر وتختلف في المجتمع الواحد من تنويعة ثقافية لأخري. (صالح، ٢٠١٣ م: ٢٦)

أما عن تعريف"التقاليد" فهي "العادات القديمة المتأصلة والراسخة في الثقافة والتي تدوم طويلاً فيأخذها الخلف عن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

السلف وتبقي وتستمر فتنقل جزءاً من الماضي إلي الحاضر، وتحقق تواصل الأجيال وتتميز بالاستقرار والدوام وقابليتها للتغير بطيئة وهذا ما يجعلها أكثر ميلاً للمحافظة (م.ن: ٢٨) لهذا فقد جعلها البعض مرادفاً لمفهوم "العادة"، وعلي الرغم من التشابه والتقارب بين مفهوم "التقليد" ومفهوم "العادة"، إلا أن "التقليد" يفتقر إلي قوة الجزاء التي نجدها في العادات الشعبية، كما أن التقليد علي حد قول "فيكمان" يفتقر إلي المعيارية التي تمتلكها العادات (الاجتماعية/ الشعبية) (الجوهري، ٢٠١٢ م: ١٢١) ونميل في هذا الشأن إلي رأي "شبايزر" الذي يري أن الفرق الأساسي ما بين "التقليد" و"العادة" يكمن في قوة التكامل، حيث يقول: «ينبغي أن يطلق اسم تقليد علي العادات الميتة التي تحولت إلي عادات شكلية بحتة، لم تعد تجد لها مكاناً إطلاقاً في تفكير الرجل الشعبي ويمارسها الإنسان لمجرد المحافظة علي أنه ينسب إلي تلك العادة فيما بعد معني جديد، أو بمعني آخر كما أوضح بويكارت ولاوفر بأن "العادة" دينامية بينما "التقليد" تحول إلي عادة ميتة». (م.ن: ١٢٢)

٥ـ ٢. نظرية الاتصال والتغيير الاجتماعي

يعود تاريخ الاتّصال إلي تاريخ الوجود الإنساني نفسه الذي تكتنفه تساؤلات غير قليلة لا تزال غامضة لعلماء الأنثروبولوجيا والأحياء. ونظراً إلي الأدوار الهامّة التي يلعبها الاتّصال في حياة الإنسان وتكوين المجتمعات البشرية، فاكتسب هذا المفهوم أهميةً كبيرةً عندهم كما عند اللغويين الذين يعدّون الاتّصال الهدفَ الأساسَ من استخدام اللغة واللغةَ أوّل أشكال الاتّصال وأهمها؛ فحاولوا تقديم تعاريف كثيرة لها. وتورد دائرة المعارف تقريراً عن "جورجين ريوتش" يذكر فيه أربعين تعريفاً لمفهوم الاتّصال، ومداخل كثيرة لتناوله منها ما هو معماري، ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو أنثروبولوجي، وأخيراً منها ما هو سياسي. (انظر: طعيمة والناقة، ٢٠٠٦ م: ٣٣)

اشتقت كلمة الاتّصال Communication من الكلمة اللاتينية Commonness والجزء الأول Com يعني معاً، ويعني التعاون والتبادل والارتباط، لذا يمكن تعريف الاتّصال علي أنه التبادل الثنائي بين فردَين أو أكثر، ذلك التبادل الذي يعزّز التعاون ويرسخ المشاركة. «فالاتّصال إذن هو عملية ديناميكية غير ثابتة، يقوم علي تفاوض٣ المعنيَين بالاتّصال». (شعبان، ٢٠١١ م: ٤٧؛ وأكسفورد، ١٩٩٦ م: ١٩) وعلي هذا التعريف، فيتمّ الاتّصال بنقل معان مقصودة من فردٍ إلي آخر للتعبير عما يريد بغية التواصل معه. (م.ن) ويعرّف منير البعلبكي في المورد الاتّصالَ قائلاً: «الاتّصال يركّز علي كونه تبليغ رسالة شفوية أو خطية، أو معلومات، وآراء عن طريق الكلام المنطوق أوالمكتوب». (البعلبكي، ١٩٩٤ م: ١٩٨) ويعرفه الدكتور حسين حمدي الطوبجي بأنه: «العملية التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص لآخر حتى تصبح مشاعاً بينهما، وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصَين أو أكثر». (١٩٨٢ م:٢٥)

أما نظرية الاتصال والتغيير الاجتماعي فهي التي تدور حول دور الاتصال داخل النظم الاجتماعية كمحور للتفاعل وذلك من منطلق أن الاتصال هو الطريقة التي تنقل بها الأفكار أو المعلومات داخل مجتمع معين؛ (شعلان، ٢٠١٤ م: ٤٠) أي أن هذه النظرية تعتمد في أساسها علي أهمية الاتصال نفسه، فهو أساس الحياة الاجتماعية، وذلك لكونه أحد وسائل التعبير عن أعراف الجماعة، وكما أنه يقوم بتحقيق التعاون، وعمل علي الإبقاء علي الضبط الاجتماعي داخل الجماعة وعن طريق الاتصال، يمكن تحقيق العمليات الاجتماعية الداخلية داخل الجماعة أو المجتمع. (م.ن: ٥٨و٥٩)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

والجدير بالذكر هنا أن نشير إلي أن الاتصال يؤدي دوراً محورياً في المحافظة علي المجتمع وثوابته وذلك عن طريق الاتصال بين الأجيال المتعاقبة داخل المجتمع الواحد؛ مثل المجتمع النوبي موضع دراستنا، وهذا ما يخلق لدينا حالة ثبات في قيم وعادات وتقاليد مجتمع معيَّن يحافظ عليها المجتمع باستمرار الاتصال بين أجياله، كما أن الاتصال يؤدي دوراً آخر وهو دور التغيير داخل المجتمع، وذلك عندما يكون الاتصال خارجياً عن طريق قنوات وروافد اتصال جديدة وهذا ما تجلي داخل العمل رواية "اللعب فوق جبال النوبية" - موضع دراستنا - وهذا الأمر يتجلي في أحد تعريفات الاتصال وهو «العملية الاجتماعية التي يتم بمقتضاها تبادل المعلومات والآراء والأفكار في رموز دالة بين الأفراد أو الجماعات داخل المجتمع، وبين الثقافات المختلفة لتحقيق أهداف معينة». (م.ن: ٥٧)

وتتنوع أشكال الاتصال ما بين اتصال مباشر واتصال غير مباشر، وسوف نتناول في هذه الدراسة الاتصال المباشر وذلك لسببين؛ السبب الأول لأن الاتصال المباشر هو الشكل الرئيس للاتصال بين الجماعات البشرية الذي تطورت عنه باقي أشكال الاتصال وترجع أهميته أيضاً في التنمية البشرية، وكذلك في ترسيخ عناصر الثقافة ونقلها من جيل إلي جيل، (صالح، ٢٠١٣ م: ٣٥) والسبب الثاني هو لأن هذا الشكل من أشكال الاتصال يعد هو الأبرز في رواية "اللعب فوق جبال النوبة" أو بمعني أدق أن حركة الاتصال المباشر المتمثلة في اتصال/ انتقال ثقافة القاهرة عن طريق غادة بأفراد المجتمع النوبي وتحديداً في قرية مالتيء هي محور الأحداث والصراع داخل الرواية، وقد حدد المؤلف فترة الأحداث في ستينيات القرن الماضي.

٦. صعوبات الاتصال في مجتمع الرواية

«كان الاتصال بيننا وبين العالم منبتا، لا هم يعرفون أحوالنا ولا نحن لدينا وسائل لمعرفة ما يدور حولنا، لا صحف ولا مذياع ولا ممثل حكومي، كنا نعيش علي هامش الكون». (علي، ٢٠١٠ م: ١٧) هكذا وصف إدريس علي حالة القرية مالتي علي أنها قرية منفصلة - تقريباً - عن العالم لا يعرفون ما يجري حولهم ولا غيرهم يعلم حالهم، والمؤلف يزيد تفصيل هذا الانفصال عن العالم قائلاً عن القرية وأهلها: «تقوم الثورات في الشمال والجنوب ويتبدل الحكام فلا تتأثر، وحين نسمع أزيز طائرة مدنية في السماء ننظر إليها ونشتم ركابها "كبة تأخد الانجليز"ف لأننا لم نسمع عن الجلاء وكنا لا نعرف أيضاً الفرق بين طائرة مدنية وحربية وكنا نعتقد أن محمد نجيب "بلدياتنا" ما زال يحكم مصر، وكانت بعض الأغاني القديمة سارية فالبنات في الأعراس ينشدن "تبارك الله يا سلطان عبد الحميد" وكان لدينا مفاهيم مشوهة وخاطئة، فنظن أهل الشمال كلهم "حكومة" من البيض الأشرار الذين بنوا الخزان لإغراقنا وإفقارنا ونظن أهل الجنوب السود جدا لهم ذيول ويأكلون لحوم البشر (....)». (م.ن:١٧) ومن ثم نجد أن وسائل الاتصال بنوعيها المباشر وغير المباشر معدومة داخل قرية مالتي وإن كانت هناك بعض وسائل الاتصال غير مؤثرة بشكل كبير سوف نتحدث عنها لاحقاً، ولكن هنا سوف نبرز أعم الصعوبات والعوائق التي منعت حدوث التأثير والتأثر بين قرية مالتي وبين العالم المحيط بها ويمكن تفصيل هذه الصعوبات في النقاط التالية:

٦ـ ١. اللغة

لا تمثل اللغة هدفاً بحد نفسه، بل هي أداة تنقل الأفكار والمشاعر بين البشر، هي في الحقيقة أداة تواصل وحامل للمعلومات، أي أنها عبارة عن وسيط اجتماعي بين البشر (الطيب،٢٠١٠ م: ١)كما أنها وسيلة ووسيط فعال لتلاقي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

الثقافات وانتقالها بين المجتمعات ومن ثم يحدث نوعاً من التأثير والتأثر الذي ينتج عنه إحداث تغيير في العادات والتقاليد في مجتمع ما.

نجد في رواية "اللعب فوق جبال النوبة" أن أهل قرية مالتي يتحدثون اللغة النوبية التي تعد لغة غير متداولة إلا بين أهلها، فهي مقتصرة فقط علي أهل النوبة، الذين يتحدثون أيضاً العربية، ولكنهم يتمسكون بالنوبية ويؤدي هذا التمسك بلغتهم واستمرار التعامل بها حتى وقتنا الحالي إلي التمسك بالموروث الثقافي النوبي بكل جوانبه خاصة العادات والتقاليد، وهذا يخلق نوعاً من صعوبة الاتصال بالعالم الآخر، ولقد تجلت هذه الإشكالية بين أهل قرية مالتي وعلاقتهم بالعالم الخارجي وهذا ما كان يعانيه الراوي قائلاً: «دائماً كنا نتصادم في حصة الدين، لأن فصحي القرآن كانت تستعصي علينا، ليست مثل العامية البسيطة التي جاء بها جدي من الشمال، ولا مثل فصحي كتب الوزارة ولا مثل لغتنا النوبية التي نتحدث بها كل يوم، لغة صعبة للغاية وتبدو لنا كالألغاز، ولم أكن وحدي من تعثر».

«سمع يا ولد/ -لم أحفظ بعد/ -والسبب؟/ -أفهم أولا/ -تفهم ماذا؟/ - ماهي "العاديات ضبحا فالموريات قدحا والمغيرات صبحا"/ -هذا قرآن يا ابني/ - وماهو الويل الذي للمطففين؟/ - لا تجادل في كلام الله/ - وكيف أنزل علينا كلاما بلغة لا نفهمها؟/ - ستفهم في مرحلة تالية/ - ولن أحفظ كلاما لا أفهمه». (علي، ٢٠١٠ م: ٢٣و٢٤)

يبين لنا هذا الحوار بين المدرس والراوي دور اللغة في التواصل وكيف كان التمسك باللغة النوبية وعدم الانفتاح والتواصل مع المجتمعات الأخري أدي إلي حدوث مشاكل للأطفال وصعوبة في فهم اللغة الفصحي ومن ثم فهم لغة القرآن الذي يترتب عليه فهم الدين ومبادئه، ويمكن أن نقيس هذه الصورة بطريقة عكسية علي بطلة الرواية غادة التي وجدت عدم جدوي في تعلم اللغة النوبية لغة والدها، ثم وجدت صعوبة في التعامل منذ مجيئها للقرية وذلك لعدم اتصالها لغوياً بأهل والدها، ففي القاهرة كانت تتعامل مع أمها والمجتمع المحيط بها بالعربية ماعدا والدها الذي كان أحياناً "يتحدث /يرطن" بالنوبية، ولكن عند مجيئها للقرية كان الوضع معكوساً تماماً فهي الوحيدة التي تعرف اللهجة القاهرية وتتحدث بها بالإضافة للجد والمدرس الإلزامي وزوجته وهذا كان من أسباب عدم التواصل.

٦ـ ٢. الموقع الجغرافي والحيز المكاني

يعد المكان أحد أبعاد الوعي الإنساني، فصار ينظر إلي المكان مع مراعاة خصائصه الطبيعية والفيزيقية على أنه تكوينات أو بني أو حالات معرفية ووجدانية، تكون موجودة لدى الأفراد والجماعات وتسهم على نحو واضح في تحقيق إحساسهم بالهوية الفردية والجماعية و في استمرارية وجود هذا الإحساس لديهم. (انظر: عبد الحميد، ١٩٩٤ م: ٢٥٠)

ويجسد المكان الهوية والذات الإنسانية، فعلى قدر إحساس الإنسان بالمكان يقدّر إحساسه بذاته، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدودها، بل تنبسط خارج تلك الحدود، فكل فرد يحيط به عدد من القواقع أقربها إليه جلده الذي يفصل بينه وبين العالم، ثم يليه الغرفة، فالمسكن، فالمبنى، فالحي، ثم المدينة، فالمنطقة، فالبلد، فالعالم، والإنسان يعيش في تردد بين الرغبة في التوقف، والانتشار من قوقعة إلى أخري. (إبراهيم، ١٩٩٠ م: ٤٩)

ومن ثم يؤدي المكان دوراً في تأكيد وتعضيد البناء الأساسي للشخصية لدى الفرد، فالخبرات المتكررة في مكان معين تساعد في تطوير إحساس ما بالاستمرارية وشعور ما بالانتماء لمكان معين يجاوز الأفراد وظروفهم الخاصة المباشرة، مع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

الاعتبار أن هذه الأمكنة التي تؤكد نظرية الهوية لا يشترط أن تكون هي الأمكنة التي يتحرك وينشط فيها الإنسان، فيمكن أن تكون أمكنة تنتمي إلى الماضي أو إلى الحاضر وهو بعيد عنها. (عبد الحميد، ١٩٩٤ م: ٢٥٨) ويتجلي هذا المعني في رواية "اللعب فوق جبال النوبة"، حيث يقول الراوي عندما فشلت رحلة هروبه مع غادة بطلة الرواية "العمدة لا ينتصر للقانون وإنما ينحاز لتقاليد المكان". (علي، ٢٠١٠ م: ١٠٨)

وكان لموقع قرية مالتي المنعزل دوراً كبيراً في عدم اتصال أهلها بالعالم الخارجي ويصف الروائي إدريس علي في مستهل روايته القرية قائلاً عنها: «كانت بلادنا مغلقة علي نفسها تمارس الحياة وفق تقاليد موروثة، صارمة، متخلفة، لا تتطور، ولا تتغير... كنا نعيش علي هامش الكون»، (م.ن: ١٧) بل إنه يصف المكان بالمنفي ويصف القرية بالجحيم قائلاً: «يوم وصولها إلي منفانا، مبعدة من جنة الشمال إلي جحيم الجنوب، كان يوماً حاراً علي غير المألوف». (م.ن: ٢٥) فهذا الوصف (بلاد مغلقة/ علي هامش الكون/ منفانا/ جحيم الجنوب) يدل علي انعزال هذا الموقع الجغرافي للقرية عن العالم الخارجي، بل يتمادي الروائي إدريس علي في التأكيد علي انعزال القرية ليس عن العالم الخارجي فقط، بل عن القري القريبة لها وعن أقرب منفذ وطريق للاتصال بالعالم فيقول: «الطريق بين مرسي الباخرة ونجعنا، طويل، وعر، مترب، يهبط ويصعد مع الوديان والمرتفعات، موحش، كئيب»، (م.ن: ٢٩) بل إن أي محاولة من محاولات الاتصال بالقرى المجاورة بطريقة غير النهر فهي محفوفة بالمخاطر، وذلك لطبيعة الجبل، فيقول الراوي وهو يفكر في طريقة الهروب مع غادة بعيداً عن القرية: «بلادنا مغلقة تماماً وكل المنافذ تحت السيطرة، فالمراكب الشراعية يملكها ناس من قريتنا وقصة "غادة" معروفة ويستحيل التسلل للباخرة، لم يبق أمامنا سوي مراكب الصيد وهي قليلة وموسمية، لكن رحلة نيلية مع صيادين أغراب محفوفة بالمخاطر، سيفترسوننا معاً ولن أتمكن من الدفاع عنها وعن نفسي، لم يبق أمامي سوي الخيار الأخير الصعب المميت، طريق الجبل، يا إلهي ... الجبل؟ هذا الكائن الخرافي المسكون بالوحوش والعفاريت وعساكر الهجانة وقبائل البشارية ... ولا يصعده الرجال إلا مضطرين و في جماعات وندر، بل استحال أن خاضه رجل بمفرده؟ الجبل؟». (م.ن: ٨٢) وهذا الانعزال التام للقرية عن العالم المحيط به جغرافياً حَدَّ بشكل كبير من الاتصال بين القرية وبين العالم الخارجي أو بين القرى والنجوع المجاورة للقرية.

٧. عناصر الاتصال في مجتمع الرواية

وعلي الرغم من العوائق والصعوبات السابقة، إلا أننا نجد بعض وسائل الاتصال بين أهل قرية مالتي والعالم الخارجي وجميعها وسائل اتصال مباشرة، وربما كانت عناصر الاتصال المتجلية في الرواية عناصر مباشرة، إلا أنها لم تؤثر بشكل كبير في تغيير ثوابت العادات والتقاليد داخل المجتمع وذلك لضعف تأثير هذه العناصر.

والجدير بالذكر هنا أن نشير إلي أن العوائق والصعوبات التي سبق وقد أشرنا إليها، كانت سبباً في عدم تجلي عناصر الاتصال غير المباشرة في قرية مالتي مثل الصحف والإذاعة والتليفزيون والتليفونات ووسائل المواصلات، يقول إدريس علي في روايته: «كان الاتصال بيننا وبين العالم منبتا، لا هم يعرفون أحوالنا ولا نحن، لدينا وسائل لمعرفة ما يدور حولنا، لا صحف ولا مذياع ولا ممثل حكومي». (م.ن: ١٧) ونري أن السبب الأساس في عدم بروز عناصر الاتصال التي أشار إليها إدريس علي في روايته تعود إلي موقع قرية مالتي البعيد والمنعزل والسبب الثاني يعود إلي تجاهل الحكومة والدولة لهذه

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

المناطق البعيدة عن مركزية الحكومة في الشمال.

تمثلت عناصر الاتصال المباشر بين أهل مالتي وبين العالم الخارجي عن مجتمعهم عن طريق بعض أهل القرية الذين يعملون خارج القرية ومن أبرزهم "الجد" المحمل بثقافة الشمال ولغتهم وعاداتهم فيقول الراوي: «ما الذي جعلني أري الكون والناس بمنظار مختلف لايتناسب مع سني ولا قراءاتي في ذلك الوقت؟ أ لأني كنت كثير التردد علي الأطفال العائدين من مدن الشمال ويعرفون أمورا نجهلها؟ أم لأني التصقت بجدي الذي عاش نصف قرن في مدن الشمال وعمل في أماكن راقية ويجيد عامية الشمال كأهلها وجاء لقضاء شيخوخته بيننا ومعه الحكمة وخلاصة التجربة.. فتأثرت به؟». (م.ن:١٨) نلحظ في النص السابق من الرواية أن الكاتب يشير إلي جهتَي اتصال من جهات الاتصال المباشر؛ وهما "الأطفال العائدون من الشمال" و"الجد" وكل من الجهتين غير مؤثر وفعال في تغيير العادات والتقاليد في مجتمع القرية، فالأطفال بحكم سنهم وخبرتهم التي يحملونها من الشمال غير مؤثر بدرجة كبيرة لتغير مجتمع، أما الجد فكان وجوده في القرية ليس بدافع التغيير علي الرغم من خبرته الكبيرة، لكنه جاء ليعيش في سلام دون دخول في خلافات جوهرية تمس المجتمع وبنيته الاجتماعية، وما يؤكد ذلك صيغة سؤال الطفل "فتأثرت به؟" فهذا يدل علي أنه إذا حدث تأثير من الجد علي الطفل فهو تأثير غير مقصود بالمرة.

وتعد شخصية مدرس الشمال من الشخصيات التي تمثل عنصراً من عناصر الاتصال بين أهل القرية والثقافات الأخرى المغايرة، يقول الراوي عنه: «وإذا كان الغرباء يندهشون من كلامي وأحياناً يضحكون لطرافته وغرابته فإن مدرس الإلزامية الشمالي وقف لي بالمرصاد، لا يعفو ولا يتسامح ويراني وثنيا من أمة جاهلة..». (م.ن: ٢٢) نجد من الوصف السابق لمدرس الشمال أنه عنصر اتصال سيئ وغير مفيد، فهو لا يحمل ثقافة التعليم أو المحاورة فكيف يصبح عنصراً مؤثراً للتغير.

ويمكن أن نعد الخطابات من عناصر الاتصال المباشر وإن كان دورها في الرواية خاصاً بالشكوى والنجدة وليس بهدف الاتصال لتحقيق تغير معين في العادات والتقاليد فجاء في الرواية علي لسان غادة قائلة: «بعت جواب لبابا من وراها قلت له يا ترجعني مصر يا أصور لك قتيل هنا، ماردش، بعت جواب لعبد الناصر قلت له: إني في الأسر ... ما سألش، بعت جواب لحبيبي قلت له: إني أغرق ... أغرق مش عارفه هو ليه ما بيردش علي جوباتي؟». (م.ن: ٥٢و٥٣)

والخلاصة أن هذه العناصر هي عناصر الاتصال المباشرة التي كانت موجودة بالفعل قبل ورود عنصر غادة إلي القرية، والتي كان دورها أكبر وتأثيرها أكبر في تغيير العادات والتقاليد في مجتمع الرواية، وسوف نطلق علي غادة اسم العنصر الفعال المباشر وسوف نتناول ذلك بالتفصيل في السطور التالية:

٨. "غادة" عنصر الاتصال الفعال المباشر في الرواية

« ... فكيف استطاعت هذه البنت غزو ثلاثة أجيال، أنا وجدي ومحروس؟». (م.ن: ١١٥) بهذا السؤال الذي يطرحه الراوي علي نفسه في الرواية سوف ننطلق في الكشف عن الدور الذي قامت به غادة كعنصر اتصال مباشر في تغير بعض ثوابت العادات والتقاليد في قرية مالتي، فقد استطاعت الفتاة الشابة الجميلة أن تغير في أجيال المجتمع من أطفال وشباب ومسنين وأيضاً فتيات القرية ونسائها، وهذا يعود بالطبع إلي عدة مميزات وسمات قد ساعدت غادة في جعلها عنصر اتصال فعال في تغيير أفراد القرية علي اختلاف أعمارهم وتقبلهم ثقافتها ورأيها المناقض لعاداتهم وتقاليدهم الموروثة، ونستطيع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

عرض السمات التي جعلت من غادة عنصر تواصل فعال في النقاط التالية:

٨-١. الصفات الشكلية والجسدية لـ "غادة"

كانت غادة بطلة الرواية نتاجاً لزواج رجل نوبي أسمر البشرة وامرأة قاهرية بيضاء البشرة، يقول إدريس علي في روايته واصفاً حالة غادة قائلاً: «فهذه أول أنثي من أب جنوبي وأم شمالية سيرونها علي الطبيعة وكانوا يتساءلون: كيف تبدو؟ أهي سمراء وترطن مثل أبيها؟ أم بيضاء كأمها وتتحدث لغتها؟ و في هذه الحالة كيف ستتفاهم معنا؟ سافرة أم محجبة؟ طيبة أم شريرة؟». (م.ن: ٢٥) وتبين لنا كثرة الأسئلة الكثيرة المطروحة من قبل أهل القرية عن شكل غادة أولاً ثم عن سمات وطبيعة شخصيتها، ثانياً مدي أهمية الشكل والجسد في عنصر الاتصال المباشر، فجمال الشكل والجسد – أحياناً - يكون له دور في استحسان بعض الناس للبعض الآخر، وقد أشار إدريس علي في روايته بعض الملامح الشكلية والجسدية لغادة ومنها «وحين أطلت من الباخرة، بدت كالبدر في تمامه، بيضاء تشع نوراً مع ضوء الشمس، باسمة الثغر، فاحمة الشعر، سافرة الوجه والملبس أنيقة، رشيقة ... كانت أجمل من زوجة المدرس الشمالي، وأجمل فتاة هلت علينا، شهق الناس إعجاباً والبنات تحسرت غيظاً وحسداً». (م.ن: ٢٦) ويقول أيضاً عنها: «غادة الجميلة هبت علينا كنسمة شمالية ندية واشتبكت في ساعة نحس مع ريح سموم جنوبية فاختنقت». (م.ن: ٢٥) ويقول عنها أيضاً في موضع آخر: «نعم يا جدي، هي يمامة جميلة وديعة تتحرك وسط الصقور والغربان». (م.ن: ١١٤) ومن الصفات الجسدية لغادة «ولا أدري كيف لهذه البنت الطرية التكيف مع طرائق حياتنا الخشنة وتقاليدنا الصارمة؟». (م.ن: ٢٩) ويكشف لنا الراوي عن أجزاء جسدها التي شاهدها بعد أن كشفت عنها له غادة قائلاً: «وأخذت تتعري وتكشف مواضع الكي والجروح والكدمات ... يا الله، جسد بديع رغم كل التشوهات وليس مثل من شاهدتهن قبل ذلك خلسه، فتنتني هذه البنت وصرت بها مجنونا». (م.ن: ٣٩)

نلاحظ في وصف شكل غادة وجسدها أنها تختلف وتتميز عن أفراد المجتمع النوبي الوافدة إليه، وهذا في حد نفسه يعد نوعاً من أنواع لفت الانتباه وجذب أفراد المجتمع لهذا الوافد الجديد وهذا ما حدث بالفعل إذا قارنا بين وجود "زوجة المدرس القاهري" وبين غادة، فأهل البلد لم ينجذبوا إلي زوجة المدرس ولم يتواصلوا معها ونتج عن ذلك عدم حدوث التأثير والتأثر بين الطرفين، وبالتالي لم تستطع زوجة المدرس أن تكون عنصر اتصال فعال مباشر مثل غادة، ونراعي أيضاً أن سمة الفضول والاتصال تكون من سمات أفراد المجتمع للتعرف علي الوافد الجديد غادة و في هذا الكشف والتعرف علي الوافد الجديد يحدث الاتصال وعليه يتحدد درجة التأثير والتي نجحت فيه غادة تماماً، وهذا يتجلي في الرواية في عدة صور منها انبهار "محروس الأهبل" بغادة من أول نظرة وقد سماها "أونتي" وهي تعني باللغة العربية "قمر" ووصل انبهار "محروس" بها لدرجة أنه «اخترق الزحام، ووقف ينظر إليها ببلاهة ثم مد يده لمصافحتها ... كان مصرا علي التواصل، قال لجدتها متطوعا: حرام أن تمشي علي الأرض ... سأحملها حتى النجع». (م.ن: ٢٩) ويقول الراوي عن شعوره عندما شاهدها أول مرة: «لم أتصور قط وجود كائنات بهذا الحسن، شهقت ووقفت أتأملها مشدوها، أول ملاك يهبط فوق أرض لا تنبت سوي الحلفاء والعقارب». (م.ن: ٢٦) ووصل الانبهار بغادة إلي كل أهل قرية مالتي فيقول الراوي: «جدي ربما وقع في هواها مثل محروس الأهبل وأنا، ومثل كل رجال البلد الذين باتوا يحلمون بها والشبان يغنون لها "أبيض اللون"». (م.ن:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

(٣٤

وليست ملامح غادة وشكلها فقط هو عامل قبول غادة والتفاعل معها والتواصل، بل كانت تمتاز بروح مرحة وحيويتها وهذه السمات كانت مصاحبه لها منذ أول يوم لها في مالتي، بل وصل خبرها إلي النجوع المجاورة لقريتها يقول الراوي: «لا حديث في نجوعنا سوي عنها أونتي البيضاء المرحة التي حركت حياتنا الراكدة بحيويتها ومرحها وأغانيها ونكاتها اللاذعة ولغتها العامية السهلة الجارحة والمكشوفة أحيانا». (م.ن: ٣٣) وهكذا تمكنت غادة بجمالها وروحها المرحة وانبهار أهل قرية مالتي من التأثير علي أفراد القرية ومحاولة تغير عاداتهم وتقاليدهم السيئة ومحاولة كسر الجمود والصرامة المسيطرة علي حياتهم ومجتمعهم، وبمعني آخر كانت ملامح غادة وشكلها وجسدها مفتاح شخصيتها للعبور لأهل القرية واختراق حصن عاداتهم وتقاليدهم حتى تستطيع تحطيمه.

٨-٢. الإرث الثقافي الشمالى "القاهرى" المتنوع لدى غادة

علي الرغم من صغر سن غادة، إلا أنها تحمل من الخبرات الحياتية أضعاف الخبرات التي تحصل عليها رجال قرية مالتي وهذا يعود في الأساس لطبيعة المجتمع الذي نشأت فيه غادة وطبيعة القاهرة وحراك الحياة بها وتنوع الثقافات بداخلها والتي انعكست في شخصية غادة، والتي يعد عالماً ساحراً لأهل الجنوب الذين لم يشاهدوا القاهرة من قبل؛ يقول الراوي: «تطير بي عبر عوالم ساحرة ببساط الريح إلي مدينة الشمال الكبري، القاهرة، تحكي عن حديقة الحيوان والحيوانات التي اسمع عن بعضها ولم أرها حتي الآن، الأسد وسيد قشطة والزرافة والغوريلا التي تشبه الإنسان وجبلاية القرود ... تواصل الحكي عن إمبابة والكيت كات وحواري ذلك الحي والأولاد الجدعان والخناقات والردح واحتفالات ٢٣ يوليو وجمال عبد الناصر حبيب الملايين». (م.ن: ٤٩) فهذا عالم غريب وممزوج بالسحر بالنسبة لأشخاص لا يعرفون غير عالمهم المحيط بهم، وهذا ساعد غادة في التفاف عدد كبير من الأشخاص حولها للاستماع ووصف هذا العالم الخرافي والخيالي بالنسبة لهم، وعن طريق الالتفاف حولها استطاعت أن تبث فيهم بعض ثقافة الشمال وتحاول تغير ثوابت عادات وتقاليد الجنوب.

وتعد قصة الحب الفاشل أو الناقص التي مرت بها غادة مع "ابن الحتة" أول عناصر الخبرات التي تمتلكها غادة، بحيث تسببت هذه القصة في تغيير حياتها فتقول: «تعرفي يا عيوشة٥ ... الحب هو اللي رماني الرمية المهببة دي». (م.ن: ٣٥) ومرورها بتجارب حياتية متنوعة بدأت بالحب والهيام " لغاية لما اتقابلنا في الترماي وصباح الخير وصباح النور... ومنها والحكاية ابتدت وحبينا بعض... قعدنا نحب بعض كتير، قولي سنة، وعمره ما عمل معايا حركة بايخة ولا حتي مد إيده" (م.ن: ٣٧) ثم جاء رفض والدها زواجها من حبيبها وذلك بسبب العادات والتقاليد النوبية التي تلزم الفتاة الزواج من النوبي فقط في حين أن النوبي يمكن أن يتزوج بغير النوبية، ثم مرت غادة بمرحلة التمرد فتقول: «المهم الواد كان دايب فيا وفضل رايح جاي وعاه أهل ماما، وبابا بقي رأسه وألف سيف ... واحد نوبي، وأنا بقي قعدت أعيط ... أعيط وعملت لهم مجنونة ... وحياتك ولا حاجة وبابا كأنه عاوزني أموت بس الواد مايخدنيش ... قلت بقي مابدهاش ... هربت مع الواد ورحنا للقسم نتجوز..آ.. هناك كده ... لما أهل العروسة يتربسوا يروحوا للقسم علشان الحكومة تجوزهم ... لكن بختي المايل قال إيه.. لسه قاصر». (م.ن: ٣٧و٣٨) ثم معاناة التعذيب في سبيل هذا الحب الفاشل والمحكوم عليه بالموت، حيث كان والدها يعذبها، ثم انتهي به الأمر إلي إرسالها إلي الجنوب إلي أهله ليعيدوا تربيتها، فكل هذه الأحداث في قصة حبها

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

تمثل تجارب متعددة لم تمر بها أي بنت أو رجل في قرية مالتي ويعد هذا من خبرات غادة التي ساهمت في زيادة خبراتها.

كانت علاقة والدها مع والدتها إحدي الخبرات التي شكلت شخصية غادة، حيث عانت والدة غادة كثيراً من والدها وذلك بسبب شخصيته الغيورة، ونلاحظ من سرد غادة لزواج والدها من أمها أنه كان زواجاً تقليدياً وعادياً وكانت الظروف الاقتصادية السيئة لأهل أمها سبباً من أسباب الموافقة أي أن الزواج لم يكن بسبب الحب الذي تبحث عنه وتنشده: «وأهل ماما بقي كانوا غلابة خالص.. لأغلابة إيه.. دول كانوا أغلب من الغلب، كانوا بياكلوا فول وطعمية بس ومحشورين في أوضة زي الفراخ وعندهم بنات ياما.. وكانوا بيجوزوهم لأي حد، اللي يدفع يشيل، يعني كانوا ح يجهزوهم منين؟ والا يأكلوهم إيه؟ وبابا كان كسيب واشتراها بفلوسه». (م.ن: ٤١و٤٢) وانتهي هذا الزواج الذي كان مضطرباً بسبب غيرة الأب بموت أمها حرقاً فتقول غادة عن وفاة أمها "... وآخر مرة بقي، كانت حكاية منيلة، جه من بره لقي ابن عمها عندنا، اتجنن وشتمها شتيمة وحش خالص وتف عليها، ماما جالها انهيار عصبي، دلقت الجاز علي هدومها وولعت في نفسها، ما لحقناش وراحت فيها». (م.ن: ٤١) أضف إلي موت أمها المأساوي وشخصية والدها الصعبة الغيورة، معاملة زوجة أبيها السيئة لها: «قعدت تزن في ودانه لغاية ما طلعني من المدرسة بعد الإعدادية، كان دايما يغيظها ويقول لي: يابت الغالية، وإيه قدامها وهي بقي تتكهرب وشغلتني خدامة عندها، مش دي أحوال مقلوبة وتجنن؟ أنا الجارية وهي الست مع إن في الحكايات غير كده خالص؟ عمرك سمعت عن واحدة بيضة خدامة عند سودة؟». (م.ن: ٤٤) فهذه الأحداث الأسرية الصعبة والمأساوية أثرت علي شخصية غادة وزادت من خبرتها بالحياة.

تتجلي لنا الثقافة الفنية (غنائية/ سينمائية) المتشبعة بها غادة والتي حاول إدريس علي الإلحاح عليها وإبرازها بشكل كبير داخل الرواية، بحيث كان وجود التراث الفني الشمالي/ القاهري المتمثل في ثقافة غادة الفنية متجلياً عن التراث الفني النوبي الذي مثله وجسده "محروس الأهبل" داخل الرواية وهذا التوظيف يعود إلي تأكيد المؤلف علي أن التراث الفني الشمالي غير موجود في الجنوب، وعليه يجب التعرف عليه والتطلع عليه وهذا إحكاماً لمبدأ اختلاف الثقافات وتنوعها، كما أن وجود هذا التراث الفني الشمالي وتنوعه في الجنوب يساعد علي فكرة التواصل وجعل الفن وسيلة من وسائل التواصل بين الشعوب والفئات المختلفة ثقافياً.

كان الأغاني التي وظفها إدريس علي في روايته سواء أكانت أغاني نوبية أم أغاني قاهرية كانت موظفة بشكل جيد ولم تك حشو وزخرفة فنية في روايته، وهذا ينم علي أنه روائي واع بقيمة التراث وتوظيفه داخل النص، كانت غادة حافظة للكثير من الأغاني التي تذاع في القاهرة والمشهورة هناك ومن تلك الأغاني التي كانت تشدو بها: «يا مسافر وناسي هواك/ رايداك والنبي رايداك ... وخدني معاك إذا كنت مسافر/ خدني معاك». (م.ن: ٩٥) فهذا النص جاء علي لسان غادة في محاولة هروبها مع الراوي فنجد هذا النص يوافق الحالة والموقف، ومن الأغاني الأخري التي جاءت علي لسان غادة: «أنا اللي دهر عاداني/ وباعني واشتري فيا/ وخد احبابي واداني/ بدالهم هجر وأسيه/ ومين شاف اللي انا شفته/ ومين قاسي اللي قاسيته». (م.ن: ١١٨) وهذه الأغنية كانت غادة تغنيها قبل اختفائها وعدم معرفة أين ذهبت هل هربت أم قتلتها جدتها"شاية"؟ وهي توضح حالتها وما وصلت إليه في بلد والدها في الجنوب.

كما كانت غادة علي دراية كبيرة بالسينما وأفلامها وأبطالها، بل لا نبالغ إذا قلنا أنها كانت مغرمة بالسينما عاشقة لها، ويعد فن السينما فناً غريباً علي أهل الجنوب فهم لا يعرفون السينما ولا يعرفون أفلامها وأبطالها، وهذا في حد نفسه كان

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

من الخبرات التي تحسب لـغادة، فقد كانت غادة متعلقة بالسينما وأبطالها وارتبطت السـينما في فكرهـا وشخصـيتها فهـي كانت تريد أن تكون ممثلة سينمائية فتقول عن السينما ورغبتها «وتحـكي عـن أم كلثـوم٦ وعبـدالحليم٧ واسـماعيل يـس٨ وعن السينما.. لو ما كانش بابا وقف في سكتي.. كنت بقيت ممثلة..آ.. مانا غاوية سيما وكنت بقلـد الممثلـين، وكنـت أخـش سيما٩ علي بابا وسيما بلازا وايديال.. تصدق.. كنت اخش سيما ايديال دي بـ ٩ مليم يعنـي أقـل مـن تمـن رغيفـين وخـدت جوايز في التمثيل ومرة خدوني مع الكومبارس شافني مساعد المخرج ووصفني بالبت المعجزة وواحد تاني قـال لي ولا لبلبـة.. أصل كنت أغني وأرقص حلو واعيط واضحك زي مأنا عاوزة وآخر مرة شافني حسـن الامـام١٠ وقـال لي أنـا بقـي ح أراهـن عليكي وأخليكي حاجة، بابا عرف ومنعني وقال معندناش بنات تشتغل في السينما والمسخرة، بـلا نيلـة أمـال عنـدكم إيـه؟». (م.ن: ٤٩ و٥٠) وكان هذا الرأي أيضاً رأي الجد في غادة فهو مقتنع أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون غير ممثلة فيقـول عنهـا «بس والله كلامها حلو ويضحك و فيه سحر غريب كمان يا أخي لما تـرقص.. ولا تحيـة كاريوكـا١١، واللـه البنـت دي كانـت تنفع ممثلة، لكن حظها الأسود رماها في الخرابة دي والله العظـيم حـرام أبوهـا زول مخبـول». (م.ن: ٣٤) وأيضـاً نلحـظ أن السينما ارتبطت عند غادة بالحـب وقصصـه وبالعلاقـات العاطفيـة فتقـول: «وتتواعـدوا بقـي بـره البيـت، تروحـوا سـينما، تتفسحوا في جنية الأسماك، وتلفوا بيت جحـا، تقعـدوا في الصـيف عـلي الكـورنيش، وتقزقـزوا لـب وتـأكلوا تـرمس وجـيلاتي وتركبوا فلوكة وتخشوا جوه النيل». (م.ن: ٣٦)

ويأتي أخيراً المكون الأخير في تكوين شخصية غادة وهو المكون السياسي والاجتماعي والذي جعلها عنصر اتصال فعـال في قرية مالتي، حيث كانت غادة علي دراية بمجريات الأحداث الاجتماعيـة والسياسـية في القـاهرة، فهـي تحـكي عـن القـاهرة وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية قائلة: «دي مصر اللي بيقولوا عليها أم الدنيا و فيها الخير مرطرط.. فيها ناس يا عيني مـش لاقيين العيش الحاف وناس عريانين ياما وناس نايمة علي الأرصفة وناس شحاتين وناس نايمة في الترب مـع الميتـين.. في السـكة دي أنتم أحسن، و في ناس بقي.. فوق.. فوق.. عربيات إيه وعز إيه، تصدقي يا عيوشة، رحت مرة مع بابـا في الشـغل بتاعـه وشفت الفلوس بالكوم مرميه علي الترابيـزات مـع القمارتيـة، ومـرة رحـت معـاه في عزومـة شـفت خرفـان زي ماهيـه عـلي السفرة، وسمعت عن واحد بياكل خروف لوحده؟ هي دي مصر يا عيشة». (م.ن: ٤١).

نقلت غادة الوضع الطبقي والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تشهدها القاهرة في تلك المرحلة ووجود فجوات طبقية بين الأغنياء والفقراء، وقد كانت تري غادة أن الحياة في الجنوب في قرية مالتي أفضل مـن القـاهرة في هـذا الجانـب، وهذه الحياة بمتناقضاتها تعد غريبة علي أهل الجنـوب وعـن حيـاتهم، وكـذلك كانـت الحركـة السياسـية ومـا تشـهده مـن تطورات في القاهرة بعيدة عن أهل الجنوب وكانت شخصية "عبد الناصر" هي المسيطرة علي غادة فكانـت تقلـده وتحفـظ خطبه «ولا أشبه عبد الناصر "بتاعها" والذي تحفظ كل خطبه وتقلده بجدارة». (م.ن: ٨٠) وكان بالنسبة لها هو المثال وهـو المخلص فتقول عنه مقارنة بالملك فاروق: «وجمال عبد الناصر حبيب الملايين أصله راجل جـدع ونظيـف ودوغـري... ومـش فاروق القمارتي بتاع النسوان». (م.ن: ٤٩) فهذه النظرة لرجال الحكم والسياسة في مصر ـ لا يعرفهـا أهـل الجنـوب الـذين لا يوجد لديهم أي معرفة أو خبر بأحداث الشمال وتغيير نظام الحكـم وقيـام الجمهوريـة وسـقوط الملكيـة، ونالـت شخصـية "عبد الناصر" احتراماً كبيراً لدي غادة، وكان هو صورة حبيبها وفتي أحلامهـا وزوجهـا؛ تقـول واصـفة الرجـل الـذي تريـد أن ترتبط به ويكون زوجاً لها: «نفسي في راجل يكون حمش وجامد وهيبة.. كل الناس تخاف منه، يحميني ويدافع عني، راجل

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

كده قيمة وشهامة وجدع وجريء ما يخافش إلا من اللي خالقه، أي راجل تاني ماتهمنيش فحولته، ما الحمار فحل.. بس حمار ولا يهمني جماله، ممكن يكون حلو بس عينه زايغة ومنسون، ولا تهمني فلوسه ممكن يكون غني بس بخيل وندل، وأنا بقي أحب الجدعان زي عبد الناصر.. لو شخط في "ماسبيرو١٢" الناس تشخ علي نفسها في أمريكا». (م.ن: ٧٩ و٨٠) وكان عبد الناصر في نظرها هو المخلص من كل مشاكلها، كما كان هو المخلص لمشاكل مصر، فقد حاولت أن يخلصها من الجنوب وعاداته وصرحت لعبد الناصر في خطابها الذي أرسلته له بأنها في الأسر: «بعت جواب لعبد الناصر قلت له: إني في الأسر.. ما سألش». (م.ن: ٥٢ و٥٣)

٩. موقف عنصر الاتصال المباشر "غادة" من العادات والتقاليد النوبية في مجتمع الرواية

قبل تناول دور غادة كعنصر فعال في تغير العادات والتقاليد الموجودة في قرية مالتي يجب أن نعرض موقف غادة من هذه العادات والتقاليد وذلك من خلال أمرَين نري أن الحديث عنهما هنا أمر ضروري أولهما أن نستعرض أهم العادات والتقاليد النوبية والتي جاء ذكرها في الرواية، الأمر الثاني هو عرض نظرة غادة لهذه العادات والتقاليد الموجودة عند أهل النوبة وموقفها من تلك العادات والتقاليد، ويمكن استعراض ذلك كالتالي:

٩-١. العادات والتقاليد النوبية داخل الرواية

لقد تجلت بعض العادات والتقاليد النوبية داخل الرواية، والتي تكشف لنا عن التراث والحياة الشعبية في بلاد النوبة، بحيث كان للمحافظة علي هذه العادات والتقاليد دور في الحفاظ علي الهوية النوبية من جانب وكذلك كان لها دور في الانغلاق علي نفسها دون الاحتكاك بالعالم المحيط بها ويمكن أن نستعرض أهم هذه العادات والتقاليد بشيء من الإيجاز في النقاط التالية:

عادة الكي بالمسمار: هي أول عادة تبرز لنا في الرواية، وهي عملية يتم من خلالها إحراق الجلد باستخدام أداة بعد تحميتها في النار لأغراض علاجية، وارتبط الكي بالاعتقاد الراسخ بأن للنار مفعول علاجي، والملاحظ أن العلاج بالكي ورد في كتاب تراث الطب مثل كتاب "القانون" لابن سينا وكتاب "المختارات في الطب" للبغدادي، ويفيد العلاج بالكي في علاج أمراض المخ وعلاج عرق النساء ومرض السابعة الذي يصيب الظهر. (الجوهري، ٢٠١٢ م: ٤٦٤ و٤٦٥) وغالباً يقوم حلاق القرية بهذه المهمة، يقول الراوي عن علاجه بالكي بناء علي نصيحة شيخ القرية الذي لم يجد حلاً لشقاوته: «وهكذا انتقلت من طبيب الأرواح إلي طبيب الأبدان، الحلاق الذي يخرب الأجساد بأمواسه، ومساميره، وأدويته البلدية المكونة من الأعشاب وكاسات الهواء، وحين فحص حالتي استبعد كل الخيارات وقرر أن العلة تكمن في رأسي وعلاجي الكي بالمسمار». (علي، ٢٠١٠ م: ٢٠-٢١)

عادة عدم ركوب النساء الدواب "الحمير": من العادات والتقاليد التي ظهرت في الرواية هي منع المرأة من ركوب الدواب أو الحمار علي وجه التحديد كما جاء في الرواية فيقول إدريس علي في روايته: «تلفتت حولها وأفزعها صمت الجبال الموحش والوديان الغامضة ولحقت بنا وهي تعرج، شدتني من جلبابي مستعطفة: ياواد خللي عندك دم وخدني وراك.. والنبي ياستي خليه يركبني، شاية نهرتها مستنكرة: عيب.. ما في بنت تركب حمار/ - ليه بقي.. وأنا ح أركب مرجيحة؟/ أمام توسلاتها، اقتنعت"شاية" بالموافقة كحالة استثنائية فقالت لي محذرة:/ - لكن ما في زول يعرف». (م.ن: ٣٠)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

نلحظ أن السبب الرئيس في عدم ركوب البنات الدواب مثل الحمار ومنعها من القيام بذلك في النص السابق إلي تكوين المرأة الجسدي، وعدم مطابقة ركوب الدواب مثل الحمار مع هذا التركيب الجسدي للمرأة، وربما السبب الثاني هو أن هذه الأفعال خاصة بالرجال ولهذا يحذر علي المرأة في تلك المجتمعات مزاولة مهام الرجل.

عادة حظر نطق بعض الألفاظ: من عادات وتقاليد المجتمع النوبي كما صورها إدريس علي في روايته هي عدم التلفظ ببعض الألفاظ والأصوات التي تعد من محظورات ومن ينطق بها يجب معاقبته فيقول إدريس علي في روايته: «ثم صرخت بعد ثلاث خطوات "أح .. أح .. دي الأرض مولعة" ضحكت من جرأتها في نطق الألفاظ المحظورة ولو تفوهت أختي بكلمة كهذه، لأشبعتها أمي ضربا، كانت شاية خلفنا وفاتها سماع هذه الزلة اللسانية». (م.ن: ٢٩)

ونلحظ أن هذه الألفاظ الممنوعة والمحرمة كما جاء في النص السابق تحمل دلالات جنسية أو إشارات جنسية لهذه تحظر وتمنع أن تنطق بها البنات في الجنوب، و في الحقيقة هذه العادة تدل علي مدي حرص أهل الجنوب علي المرأة وتحاول بكل السبل المحافظة عليه وعدم انحرافها حتى ولو كان بالقول والألفاظ.

عادة عدم التقبيل في الفم: تعد عادة التقبيل في الفم من العادات والتقاليد الممنوعة وغير المتداولة في الجنوب يقول إدريس علي علي لسان الراوي: «ضحكت ثم جذبتني، احتضنتني وقبلتني في فمي قائلة: "أصوم أصوم وأفطر علي بصلة، وماله عيل.. عيل.. أكبرك وأربيك علي أديا" هذه القبلة الفمية اللذيذة غير المتداولة في بلادنا.. أسكرتني، طلبت المزيد وبإلحاح، فأمطرتني وبسخاء بوابل من القبلات السريعة المتلاحقة وكفت حين رمقتها أختي محذرة، لأن القبلات عندنا لا تتجاوز الرأس والجبين». (م.ن: ٤٤)

ويتجلي لنا من رد فعل "عائشة" أخت الراوي/ الطفل مدي عدم مشروعية التقبيل في الفم في مجتمع الرواية حتى وإن كانت هذه القبلات الفمية لأطفال صغار، وهذا الحذر والمنع ربما يعود أيضاً لأسباب جنسية وحفاظاً علي عدم حدوث انحرافات جنسية في المجتمع، وهذا قياساً علي المبدأ القائل بأن "معظم النار تندلع من مستصغر الشرر".

عادة زواج النوبية بالنوبي: تعد هذه العادة من أبرز العادات والتقاليد النوبية الصارمة، فالنوبية لا تتزوج إلا من نوبي، علي الرغم من إمكانية زواج النوبي من غير النوبية، وهذا ظهر بوضوح في الرواية فوالد غادة تزوج من والدتها وهي قاهرية، ثم تزوج بعد وفاتها من نوبية، في حين أنه رفض أن يزوجها لـ"ابن الحتة" القاهري الذي تقدم لها ورفض من والدها بحجة أنه غير نوبي «الواد جهز من كله وجاب أهله علشان الفاتحة والخطوبة يعني.. لكن بابا ـ الله يسامحه ـ قابلهم وحش وهب فيهم.. قال إيه.. ما عندناش بنات تتجوز من برة.. لازم واحد نوبي، بره إيه وجوه إيه ونوبي إي؟ طيب ازاي؟ ما بابا.. اتجوز ماما.. يعني حلو للرجالة وكخ علي البنات، وأنا يعني كنت نوبية منين.. لا أنا سمرا ولا برطن ومتربية في مصر، يعني مصرية.. ما كلنا مصريين بس أنتم حبة سمرا شوية». (م.ن: ٣٧)

وتقول أيضاً عن هذه العادة التي عانت بسببها والتي لا تعرف ما الداعي والهدف منها «وبابا بقي اتغاظ وحلف بالطلاق مانا قاعدة في مصر وراح شاحني عليكم زي الطرد علشان تشكموني هنا ويجوزني لواحد نوبي، مش عارفة يا ختي نوبي يعني إيه؟ فيكم إيه غير عباد الله، مش كلنا ولاد تسعة برضة ومسلمين وموحدين بالله؟ولا أنت غر أمة محمد؟ فيكم إيه زيادة.. مش حبة السمار والرطانة؟». (م.ن: ٤٠)

ومن المعروف أن هذه العادة موجودة حتى وقتنا الحالي في العرف والثقافة النوبية، ومن عادات النوبة حالياً والعرف

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

السائد عندهم في حالة تقدم شاب - يجب أن يكون نوبياً - إلي فتاة نوبية يجب علي والد الفتاة أن يستشير إخوته وأولاد عمومته وأخوال الفتاة ليس في القرية فقط، بل في المدن التي ينتشرون فيها، فإذا أبدي أحدهم رغبته ابنه في الزواج من هذه الفتاة كانت له الأولوية، والأولوية في هذا المجتمع عرفاً لابن العم وابن الخالة ثم ابن الخال وابن العمة، حتى لو لم تكن هناك رغبة لأحد من أبناء العمومة أو الخؤولة في الزواج منها وذلك حتى لا يلام والد الفتاة من المجتمع إذا وافق علي زواج بنته من غريب - يجب أن يكون هذا الغريب نوبي الأصل - في وجود ابن عم أو ابن خال راغب في الزواج منها. (عبد القادر، ٢٠١٣ م: ٥١) ونري أن هذه العادة سبب من أسباب الانغلاق في المجتمع النوبي، فالزواج من بيئات مختلفة وأصول مختلفة يؤدي إلي التقارب والاتصال والبعد عن الانغلاق والتقوقع داخل محيط محدد.

٩-٢. نظرة غادة للعادات والتقاليد النوبية داخل الرواية

اتخذت غادة موقفاً رافضاً ولا نبالغ إذا قلنا موقفاً عدائياً من العادات والتقاليد النوبية، وذلك من قبل أن يرسلها والدها إلي أهله في الجنوب لكي يعيدوا تربيتها مرة أخري،فكانت شخصية والدها وما يحمله من إرث ثقافي نوبي متشبع بالعادات والتقاليد النوبية جعلها تنفر من تلك العادات وتكرهها، في البداية سوف نستعرض رأي غادة في القرية وأهلها فأول كلام نطقت به عندما نزلت من السفينة فتقول: «ياخرابي انتوا إيه؟ وأنا فين؟ دأنا بايني وقعت وماحدش سمي علي.. وهي دي بلدنا بقي؟ دي وحشة قوي وزي الفرن وعاملة زي القرافة». (علي، ٢٠١٠ م: ٢٧) وتقول أيضاً عن قرية مالتي متحسرة حزينة: «لكن يا حسرة أنا بتكلم في إيه؟ في ناس ميتين بالحيا مش عايشين خالص.. كل حاجة عيب وحرام وجرسة، هو إيه يا اختي دا؟ مافيش حاجة خالص.. لا جناين ولا جيلاتي ولا حتي شبابيك دي الشبابيك معلقة في السقف عندكم زي سجن مصر.. لا تدخل شمس ولا هواء ولا ينفع الواحدة تبص منها أمال لزمتها إيه؟». (م.ن: ٣٦)

وتستمر غادة في الاعتراض علي حالة القرية ووضعها السيء ساخطة علي كل شيء حولها قائلة: «نفسي أفهم.. أنتم قاعدين هنا ليه؟ حارسين إيه؟ ومستحملين القرف دا إزاي؟ لا أكلة تفتح النفس وكل يوم "جاكود" لما طهقت، ولا جو لطيف وعمري ماشفت حر زي هنا.. تقول فيه حريقة مولعة الجو، ولا فسحة حلوة، فسحة إيه يا حسرة دي كلها جبال في جبال، ولا رادية يونس الواحدة ولا كهربا ومن المغرب علي السرير تقولش فراخ، ولا حتي كورنيش لأ.. كورنيش إيه؟ ما ينفعش.. دا حته النيل عندكم عليه عفريت وشغال علي مزاجه». (م.ن: ٥٠)

وانعكس ذلك الوضع السيء للقرية والمجتمع بالنسبة لغادة علي العادات والتقاليد الصارمة التي تحكم المجتمع والتي كانت غادة دائماً معترضة عليها رافضة لها، وأن كانت عادات الزواج هي أكثر العادات التي نالت رفض غادة، وذلك لأنها عانت كثيراً من تلك العادات سواء أثناء وجودها في القاهرة أو أثناء وجودها في الجنوب في قرية مالتي.

٩-٣. دور عنصر الاتصال المباشر غادة في تغير العادات ومدى تقبل المجتمع لدورها

في ظل الصورة السابقة التي استعرضناها عن القرية وأهلها والعادات والتقاليد وصرامتها وقوانينها الجامدة التي يمارسها أهل القرية هل يمكن لغادة أن تغير من هذه العادات والتقاليد الصارمة؟ في حقيقة الأمر لا نستطيع أن نقول إن غادة استطاعت أن تغير في العادات والتقاليد النوبية الصارمة بشكل قاطع أو بنسبة عالية ولكن نستطيع أن نقول إنها استطاعت وبكل جدارة أن تحرك المياه الراكدة في هذه البيئة النوبية وأن تغير ولو في الجانب الشكلي من العادات

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

والتقاليد النوبية الصارمة، حيث أن أهل النوبة لا يحبون السعي خلف البيئات الأخري ولا تغرهم أشكال التحضر الغريبة عنهم، وظهر ذلك من خلال الرواية يقول العمدة: «كل الذين دخلوا بلادنا "نوبناهم" العرب والمماليك والأتراك فصاروا منا.. وهذه البنت لن تختلف عنهم والأولاد عادة ينتسبون للأب لا للأم.. ولهذا، أري أن نخضعها لتقاليدنا رغم أنفها.. نزوجها لولد نوبي "شارب من بز أمه" يشكمها ويكسر رقبتها». (م.ن: ١١٠) ومن هنا نجد أن السعي لتغير عادات النوبة وتقاليدهم كانت مهمة صعبة وشاقة لغادة إلا أنها استطاعت كما سبق أن أشرنا إلي تغيير بعض الجوانب من تلك التقاليد ويمكن إجمال ذلك في الآتي:

٩-٣-١. تجميل الفتيات

تتسم الفتاة النوبية بسمرتها وملامحها الخاصة التي تميزها عن كل الفتيات في مصر وكذلك تتميز بملابسهم وتسريحات شعرهم والإكسسوارات الخاصة والتي تعطيهم تميزاً خاصاً عن باقي البيئات المصرية، وهذا الأمر الشكلي الظاهر علي فتيات النوبة أول أمر سعت غادة إلي تغييره في العادات والتقاليد النوبية، حيث أنها لم تتقبل شكل تسريحة شعر فتيات النوبة وقررت تغييره وإضفاء تأثيرات وملامح حياة الشمال والقاهرة علي فتيات الجنوب، ظهر ذلك في الرواية يقول إدريس علي في روايته علي لسان راويه: «و في مرحلة أخرى، انتقلت لأختي، عدلتها وجملتها وبثت فيها روح الشمال في جانبه الإيجابي، أمسكت يوما بضفائرها الفرعونية المقدسة عندنا وشمتها متأففه:" أيه السخام دا.. أف.. دي ريحة مقرفة قوي.. حاطة في شعرك إيه! شحم خنازير؟" و في غياب أمي انقضت عليها، فكت ضفائرها، غسلت شعرها جيدا بالصابون فبدت أختي كأجمل ما تكون بالشعر المسترسل: كل يوم بقي، تغسلي شعرك كويس وتسرحيه بالمشط دا.. بدل ماتقعدي تهرشي زي الجربانة وخللي باباك يبع تلك من مصر قزازة ريحة كويسة ومعجون وفرشة أسنان.. وتبقي عروسة بقي!». (م.ن: ٥٥) نلحظ في الفقرة السابقة جملة "بضفائرها الفرعونية المقدسة عندنا" وهذا ما يؤكد علي مدي قدم هذه العادة عند أهل النوبة والتي أرجعها إدريس علي إلي العصر الفرعوني، كانت هذه المحاولة هي المحاولة الأولي التي حاولت من خلالها غادة تغيير العادات النوبية إلا أن المجتمع لم يتقبل هذه المحاولة وهذا ما أشرنا إليه سابقاً برفض النوبة لأي تغيير لديهم وكانت "أم عائشة" هي أول من اعترضت علي هذا التغيير غير المقبول والمعارض لعاداتهم يقول الراوي: «لكن أمي، حين عادت، أشعلت حريقا، شتمت غادة وضربت أختي، واتهمتهما بالفجور». (م.ن)

وعلي الرغم من هذا الاعتراض نجد أن الجد يقبل هذا التغيير وهذا يعود إلي خلفية الجد وتأثره بحياة الشمال ومن جانب آخر لحبه لغادة ومساعدتها في تغيير الأفكار التي يرغب هو في تغيرها ولا يستطيع ذلك جاء في الرواية «جدي جاء مهرولا لاستجلاء الموقف وقال بإعجاب:- الله يا عيشه... صرتي أحلي من بنات مصر/ ردت عليه غادة بسرور: / - «مش كده يا جدو / برافو يا غادة .. أحسنت/ تساءلت أمي معترضة: / - تشجعهن علي الفجور يا حاج؟ / - وحدي الله يا دهبية /- يا فضيحتنا بين القبائل /- فضيحة إيه يا دهبية.. هذه كلها بدع وعادات ليس لها علاقة بالدين والأخلاق، لقد خلقكن الله بلا ضفائر ولا وشم ولا ختان ونحن الذين نعقد المسائل / - هذه عادات أسلافنا... / - أسلافنا شبعوا موتا... نأخذ منهم النافع ونترك الضار / - وما الضرر من الضفائر؟ /- تعوق النظافة وتلم القمل.. شمي ضفيرة من شعرك وستعرفين بشاعة هذا الشحم / -أمي بشكل عفوي، جذبت ضفيرة من شعرها.. شمتها ثم سكتت وقالت لأختي ناصحة:/ - أستري شعرك

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

بالمنديل والشال وأنت داخل البيت حتى لا ينفر منك العرسان». (م.ن: ٥٥ و٥٦)

ولم يقتصر انتصار غادة فقط علي تغيير شكل عائشة فقط بل امتد إلي بنات القرية، بحيث تم تغيير تسريحة بعض فتيات القرية اللاتي رغبن في تغيير ضفائرهم إلي الشعر المسترسل.

٩-٣-٢. تعليم الفتيات

تعد محاولة تعليم الفتيات مبادئ الكتابة والقراءة ومحو الأمية، المحاولة الثانية التي نجحت فيها غادة بشكل كبير، بحيث لاقت محاولة مساعدتها فتيات القرية علي اكتساب قدر من التعليم قبولاً كبيراً من قبل الفتيات وهذه التجربة إذا قدر لها الاستمرار فهي ربما كانت وسيلة غير مباشرة أو وسيلة طويلة الأجل في تغيير العادات والتقاليد السيئة المنتشرة في مجتمع النوبة، وعن هذه التجربة يقول الراوي: «بدأت تعلم أختي مباديء القراءة والكتابة في أوقات الراحة من الأعباء المنزلية، تقدمت أختي بشكل سريع مذهل مما شجع غادة علي المواصلة ونجحتا في التجربة مما شجع البنات الأميات الانضمام إلي الحلقة الدراسية الخاصة، وكان شرط غادة الوحيد لتقديم المساعدة، التخلص من هذه الضفائر المشحمة فتحول بيت شاية الكئيب إلي مدرسة لمحو أمية البنات ذوات الشعر المسترسل». (م.ن: ٥٦) ولاقت هذه التجربة نجاحاً من قبل مفتش وزارة التربية والتعليم الذي اندهش لما قامت به غادة وساعدها بأدوات تعليمية من طباشير وسبورة وكراريس وأقلام رصاص وكذلك منحها شهادة تقدير وخمسة جنيهات مكافأة، وعلي الرغم من هذا النجاح المعترف به إلا أن هذه المحاولة وجدت من يعترضها ويسعي لإفشالها «لا حديث في نجوعنا سوي عن هذا التقدير الرسمي الذي نالته غادة وعصابتها من ممثل الحكومة مما خلف تيارا معاديا لهن من المحافظات والأمهات والماشطة، فبدأن في تحريض شاية وتسخينها فأخذت تراقبهن وتقوم عليهن بغارات باحثة عن ثغرة أو مبرر». (م.ن: ٥٧)

ومن الملاحظ في المحاولات السابقة لتغير العادات والتقاليد أنها كانت محاولات محدودة من قبل غادة، كما أنها كانت محاولات تبدأ بتجربة صغيرة متمثلة في عائشة ثم تلقي قبولاً ثم تنتشر بين فئة أكبر وهذا يعد من أنواع التأثير المتصاعد في المجتمعات، كما أن محاولات التغيير التي قامت بها غادةكانت مطبقة وخاصة بالفتيات فقط، وهذا يعود إلي طبيعة المجتمع النوبي الذي يفصل ولا يخلط بين الرجال والنساء بشكل كبير، والملاحظة الأخيرة أن جميع محاولات غادة للتغيير كانت تلاقي بهجوم وصد ومقاومة من قبل أهل القرية خاصة النساء وعلي رأسهم جدتها "شاية" ووالدة الرواي "دهبية" وذلك حتى بعد موتها، وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك في مدي تمسك المجتمع النوبي لعاداته وتقاليده.

وكما سبق أن أشرنا أن محاولات غادة يعد مثل "من ألقي حجراً في مياه راكدة" وهذا العمل يؤدي علي المدي البعيد أثره ولو بشكل ظاهري وهذا تجلي في ما فعله الجد في نهاية الرواية أثناء زفاف عائشة، يقول الراوي: «وعندما كنا نستعد لعرس أختي، كان يخلط بينها وبين غادة، وتطورت حالته مع الأيام، دخل علي الحريم وهن يعددن أختي للعرس وصاح في الماشطة زاعقا:

- كفاك تشويها لبناتنا/ تساءلت الماشطة بهلع بالغ:/ -وماذا جنيت يا حاج؟ /-فكي هذه الضفائر المشحمة/ - ضفائر من؟ / - عروستنا عيشة / ثم قال لأختي بحنان ورقة: /- أريد مشاهدتك بلا ضفائر.. جميلة مثل غادة/ -أمرك ياجدي». (م.ن: ١٢٦)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

ولقد استمر الجد في اظهار ما تركته غادة من تأثير عليه وعلي بنات القرية وذلك أثناء حفل زفاف عائشة يقول الراوي عن ذلك «لكن الذي فعله ليلة الدخلة بدا غريبا وخارجا عن المألوف، حيث لا يدخل الرجال ديوان الحريم، جدي فعلها واقتحم عليهن المكان وهن في حالة غناء ورقص فتوقفن تحشما وتوقيرا متوقعين منه زجرا وتعنيفا علي أمر رآه يستحق اللوم، تأملهن طويلا وقال لهن ساخرا:

- هذه أغاني ورقصات لها أكثر من ألف عام / البنات صمتن ونظرن إليه بفضول فقال لهن مشجعا

- غنوا مثل غادة / حل عمامته بحماس ومده لأختي: /- هيا يا عيشه .. تحزمي وارقصي مثل غادة

تساءلت أختي في حيرة / - رقص مصري يا جدي؟ / - نعم يا عيشه رقص بلدي.. هز يا وز / - ولن تزعل مني؟/ - هيا... / أختي أخفت وجهها خجلا وكأنها لا تصدق، لأنها وكل البنات وبتوجيه من الأمهات... اعتبرت الحديث عن غادة من المحرمات». (م.ن: ١٢٦و١٢٧)

١٠. النتيجة

استعرضنا فيما سبق بعض العادات والتقاليد النوبية الصارمة بوصفها جانباً من جوانب الثقافة الشعبية المصرية منظور الروائي النوبي "إدريس علي" وهو من رواد الأدب النوبي، فقمنا بدراسة موقفه من هذه التقاليد والعادات من خلال شخصية بطلة الرواية المسماة بغادة التي تعد عنصراً ثقافياً وافداً من القاهرة والتي ترفض هذه العادات والتقاليد الصارمة وتحاول تغييرها باحتكاكها المباشر مع أهالي النوبة رغم صرامة العادات وقدمها وهي تسعي من أجل تحقيق النجاح فيما تريد وجعل أفراد القرية تقبل ثقافتها القاهرية وآراءها المناقضة لتقاليدهم وعاداتهم الموروثة وهذا يعود إلي ما تمتاز به من خبرات ومعرفة وجرأة وصفات شكلية وجسدية تفوقت بهم علي العناصر الوافدة والسابقة عليها في مجتمع الرواية "قرية مالتي" من أبرزها الجد والمدرس القاهري الذي كان يعمل هناك منذ أعوام.

وأما بالنسبة لدور عنصر الاتصال المباشر غادة في تغير العادات النوبية ومدي تقبل المجتمع لحضارتها القاهرية وموقفها العدائي لتقاليدهم، فلا يمكن القول إنها استطاعت إيجاد تغييرات جذرية في العادات والتقاليد النوبية الصارمة وإنما استطاعت وبكل جدارة أن تحرك المياه الراكدة في هذه البيئة النوبية، وأن تغير ولو في الجانب الشكلي من العادات والتقاليد النوبية الصارمة؛ والسبب الرئيس يرجع إلي أن أهل النوبة لا يحبون السعي خلف البيئات والثقافات الأخري ولا تهمهم أشكال التحضر الغريبة عنهم، وأيضا حبهم وتمسكهم بثقافتهم وحضارتهم، ولكن رغم صعوبة الأمر بذلت غادة قصاري جهودها في تحقيق هدفها بطريقتين؛ أولاهما التغيير الشكلي لبنات القرية بتشجيعهن لتغيير مظهرهن وطريقة تجميلهن، وثانيتهما التغيير في طريقة تفكيرهن بتعليمهن مبادئ الكتابة والقراءة ومحو الأمية من بينهن.

الهوامش

١ـ تدل كلمة "النوبة" في الوقت الراهن علي المنطقة الممتدة من أسوان شمالاً حتى مدينة "الدبة" قرب "الجندل الرابع" جنوباً، وهي بذلك تعد حلقة الوصل بين شمال الوادي والمقصود بها مصر وجنوبه والمقصود به السودان، وجاء أول ذكر لبلاد النوبة في كتاب الجغرافيا للكاتب اليوناني "استرابون" الذي يعتقد أنه زار مصر حوالي عام ٢٩ق.م، ولا يزال العلماء غير واثقين من الاشتقاق الأصلي للكلمة وإن كانوا يميلون إلي القول بأنها مشتقة من الكلمة الفرعونية "نبو" وتعني الذهب إشارة إلي مناجم الذهب التي تشتهر بها تلك المنطقة. (راجع: زكي،٢٠٠١ م: ٨)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

٢ـ تعد اللغة النوبية لغة مستقلة بذاتها وليست لهجة محلية منتشرة في جنوب مصر وشمال السودان، إلا أنها لا تعرف شكلاً محددة من الكتابة والتدوين، وعلي أرجح الأقوال أنها لغة حامية الأصل، وتأثرت باللغة العربية واللغة القبطية، وقد مرت اللغة النوبية بمرحلتين؛ الأولي اللغة النوبية القديمة وهي المرحلة التي دونت فيها اللغة ويدلنا علي ذلك المخطوطات والوثائق التي عثر عليها في تلك المنطقة، والمرحلة الثانية هي اللغة النوبية الحديثة والتي تتسم بكثرة لهجاتها المشتقة من اللغة الأم وأشهر هذه اللهجات لهجة الكنوز، لهجة الفاديجا، لهجة السيكون، لهجة المحسي، ولهجة الدنقلاوي، ويعتمد غالباً في كتابتها علي استخدام الحروف العربية. (م.ن: ١١١-١١٤)

٣ـ تبادل وجهات النظر.

٤ـ النوبة منطقة من محافظة أسوان في جنوب مصر تتكون من عدة قري، ومالتي هي القرية النوبية التي تدور فيها أحداث الرواية.

٥ـ عيوشه اسم علم وهو اسم دلع لأسم عائشة، فالبنت التي يكون اسمها عائشة تدلع في مصر باسم عيوشة وأحيانا يقال لمن تسمي بعائشة في مصر اسم عيشه وهذا من باب التخفيف في النطق.

٦ـ مغنية وممثلة مصرية.

٧ـ مغني وممثل مصري.

٨ـ ممثل كوميدي مصري.

٩ ـ فكلمة سيما هي النطق العامي في مصر لكلمة سينما، وهذا النطق معروف في مصر وهو من باب التخفيف في نطق كلمة السينما.

١٠ ـ مخرج مصري شهير.

١١ـ راقصة شرقية وممثلة مصرية.

١٢ـ اسم يطلق علي مبني الإذاعة والتليفزيون المصري.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، نبيلة، **خصوصية التشكيل الجمالي للمكان في أدب طه حسين**، فصول، مجلد ٤٩، العدد١-٢، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢. أكسفورد، ربيكا، **إستراتيجيات تعليم اللغة**، ترجمة وتعريب: السيد محمد دعدور، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦ م.
٣. البعلبكي، منير، **المورد قاموس إنكليزي ــ عربي**، بيروت: دار العلم للملائين، ١٩٩٤ م.
٤. الجوهري، محمد، **موسوعة التراث الشعبي العربي، المجلد الثاني (العادات والتقاليد الشعبية)**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م.
٥. الجيار، مدحت، **دنقلة: الكابوس السياسي ومحاولة العودة إلى الجنوب**، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ٧٧، فبراير ١٩٩٥ م.
٦. زكي، ماهر أحمد، **هكذا تكلم النوبيون (موسوعة نوبية)**، القاهرة: بدون ناشر، ٢٠٠١ م.
٧. الشاروني، يوسف، **قراءة فى رواية النوبى لإدريس علي**، مجلة المحيط، العدد ٨ ، ٢٠٠٢ م.
٨. شعبان، زكريا شعبان، **اللغة الوظيفية والاتّصال**، الأردن: عالم الكتب الحديثة، ٢٠١١ م.
٩. شعلان، نشوي محمد، **الحدوتة وسيلة اتصال**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤م.
١٠. صالح، إيمان، **عادات الزواج وتقاليده في الواحات البحرية**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣م.
١١. طعيمة، رشدي أحمد؛ ومحمود كامل الناقة. **تعليم اللغة اتصالياً بين المناهج والإستراتيجيات**، الرباط: المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو. ٢٠٠٦م.
١٢. الطيب، شيباني، **إستراتيجية التواصل اللغوي في تعليم وتعلم اللغة العربية (دراسة تداولية)**، رسالة ماجستير، كلية اللغات والآداب، جامعة قاصدي مرتاح ورقلة، الجزائر٢٠١٠م.
١٣. عبد الحميد، شاكر، **الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري**، فصول، العدد ٥٢، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٤. عبد القادر، مصطفي محمد، **عادات الزواج في بلاد النوبة**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣م.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

١٥. علي، إدريس، **اللعب فوق جبال النوبة**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.
١٦. الطوبجي، حسن حمدي، **وسائل الاتّصال في تكنولوجيا التعليم**، الكويت: دار القلم، ١٩٨٢ م.
١٧. عبدالقوي، أماني جابر عبدالفتاح، **بنية السرد الروائي عند إدريس علي**، رسالة ماجستير، جامعة بني سويف، ٢٠٠٩ م.
١٨. عبد الرازق، محمد محمود، **إدريس علي السائر على الماء**، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ٧٧، فبراير ١٩٩٥م.
١٩. عصفور، جابر، **كتابة النوبة وإدريس علي**، جريدة الأهرام، ١٢ مايو، ٢٠٠٣ م.
٢٠. عيد، حسين، **قراءة فى رواية دنقلة لإدريس علي، هجائية تحذير من خطر التطرف**، مجلة الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ٧٧، فبراير ١٩٩٥م.
٢١. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **إدريس علي**، متوفر في العنوان التالي:
٢٢. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3_%D8%B9%D9%84%D9%8A
٢٣. مبروك، مراد عبدالرحمن، **آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة الرواية النوبية نموذجاً**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠م.
٢٤. هولتكرانس، إيكه، **قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور**، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

References

1. Ibrahim, Nabileh, ***location imagination in Taha Hossein literature***, vol 49. No. 21, Cairo, 1190.
2. Oxford, Rabika, ***Guidelines of language teaching***, translated by Al-Seyed Mohammad Ador, Cairo: Egyptian library of Anjelo, 1996.
3. Balbaki, Monir, ***English-Arabic Dictionary***, Beirut: Dar Al-Elm Lelmalakin Press, 1994
4. Johari, Mohammad**,** ***Arabic vulgar heritage Lexicon***, 2nd vol (Vulgar tradition), Cairo: Gosoor Al-segafe Press, 2012.
5. Aljiar, Medhat, ***Dangaleh, political Nightmare and Effort back to south***, Al-segafe al-Jadide journal. Ghosoor Al-seghafe Press, no. 77, February 1995.
6. Zaki, Maher-Ahmad, ***Nubies speak in this way (Nuba encyclopedia***), Cairo: no press, 2001.
7. Sharooni, Youssef, ***study of Nubi: the novel of Idris Ali***, Al-Mohit journal, no. 8, 2002.
8. Shaban, Zakaria-Shaban, ***Functional language and communication***, Jordan: world new books Press, 2011.
9. Shalan, Nashvi Mohammad, ***Al-hodooteh means of communication***, Cairo: Ghosoor Al-seghafeh Press, 2014.
10. Saleh, Iman, ***Traditions of marriage in marine regions***, Cairo: Ghosoor Al-seghafeh Press, 2013.
11. Taeimeh, Rashdi-Ahmad & Kamel-Al Naghe, Mahmood, ***Language teaching in communication Method: Methods and guidelines*****,** Robat: Isesco, 2006.
12. Al-Tayeb, Shibani, ***Guidelines of language communication and learning Arabic language***, MA thesis, Literature and Language Faculty, University Kasdi Merbah Ouargla, Algeria, 2010
13. Abdolhamid, Shaker, ***location and its implications in Mohammad Al-amry's stories***, Session's journal, no. 52, Cairo, 1994.
14. Abdolghader, Mostafa**,** ***Marriage tradition in Nuba***, Cairo, Ghosoor Al-seghafeh Press, 2013
15. Ali, Edris, ***Playing on Nuba Mountains***, Cairo: General Academy of Egypt authors, 2010
16. Al-Taviji, Hasan Hamdi, ***Communication tools in educational technology***, Dar-alghalam, 1982.
17. Abd-al Ghavi, Amani Jabber Adolfatah**,** ***Narrative description in Edris Ali literature***. MA thesis, University of Bani soveyf, 2009
18. Abdorahman, Morad, ***Narrative tools in Nuba Novel***, Cairo: University Press of Dar-Al-hara, 1994
19. Abdorazagh, Mohammad Mahmood, Edris Ali, ***An author who walks on water***, Al-seghafe al-jadide journal, no. 77, 1995
20. Osfoor, Jabber, ***Position of Edris Ali among authors of NubA***, Al-Ahram journal, 12th May, 2013
21. Eyd, Hossein, ***Reading of Edris Ali novel: Danghale, warning on the risk of Extremism***, Al-

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]

seghafe Al-jadide Journal, Gosor Al-seghafe Press, no. 77, 1995

22. Wikipedia, Free Encyclopedia, Edris Ali, https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3_%D8%B9%D9%84%D9%8A
23. Mabrook, Morad Abdorahaman, ***Narrative tools in current Arabic novels, case study: Nuba novels***, Cairo: Ghosor Al- Seghafe Press, 2000
24. Hooltekrans, Eyke, ***Lexicon Terms of Ethnology and Public Culture***, translated by Mohammad Al-Johari & Hasan Al-Ahami, Cairo: Ghosor Al-Seghafe Press, 2nd ed, 1999.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-06]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.22.2.6.8]